ملاحظات حول المشروع الحضاري

عماد الدين خليل*

بسبب ما يعانيه المصطلح من غموض وتفسيرات شتى، يمضي بعضها لكي يتعامل مع مفردات الواقع دون منهج، ويمضي بعضها الآخر لكي يتشبث بالحلم المعلق في السماء دون أي قدر من الممارسة الواقعية للتحقق بمفرداته في نسيج الحياة الإسلامية .. وبين هذه وتلك يتأرجح الإنسان المسلم بين الإحساس بالإحباط الذي قد يقود إلى حافات اليأس والاستسلام، وبين الهروب إلى الأماني والأحلام التي لا تكاد تصنع شيئًا ذا قيمة تاريخية أو حضارية؛ بسبب من هذا كله يتحتم علينا جميعا أن نتريث قليلاً لمراجعة حساباتنا للوصول إلى الأقدر من الثوابت، من الجزر المشتركة، من لغة واضحة محددة للتعبير عن مطالب المشروع.

لا ريب أن ثمة محاولات تنظيرية قيمة طرحت في هذا السياق ومحاولات تطبيقية أخرى شقت طريقها في واقع الحياة الإسلامية.. ومع ذلك فإن علينا أن نمارس المزيد من الصقل والكشف والتحديد وترتيب الأولويات، لكي تكون بمثابة برنامج عمل يجعل المشروع حقيقة واضحة المعالم، وأمراً واقعًا قد يبدأ بخطوة واحدة، ولكنها الخطوة التي تقود إلى قطع رحلة الألف ميل بمشيئة الله.

---

* دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بالقاهرة، يعمل حاليا أستاذاً في كلية التربية بجامعة الموصل ومديراً للمتحف الحضاري بالموصل (العراق).

وفيما يأتي بعض المرئيات الأولية بصدد صياغة المشروع والتعامل معه:

أولا: مستوى الخطاب

إن المشروع الحضاري يستهدف مستوى حضاريًا على وجه التحديد، فهو من ثم ليس محاولة روحية أو شعائرية أو سلوكية أو تربوية أو علمية أو فكرية أو ثقافية أو سياسية أو دعوية أو حركية صرفة .. وإنما هو هذا كله.

قد تغذي حلقات كهذه بنية المشروع وتزيده قدرة على التحقق هنا وهناك، ولكنها إذا عملت بمعزل عن بعضها البعض فإنها قد لا تأتي بشيء (كما حدث عبر القرن ونصف القرن الأخير).

إن المخاطب هنا هو (الأمة) الإسلامية، والمشروع يعني إعادة صياغة أمة بكاملها ـ تعديل وقفتها الجانحة، وبعث روح الإبداع والحركة في مواتها، لكي تمضي على الطريق الصحيح "الصراط" الذي أراده لها كتاب الله وسنة رسولهﷺ وممارسات الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

المخاطب هو الأمة التي يراد لها التحقق بمقاصد الشريعة.. والشهادة على عامة الناس والتاريخ.. وتحويل حياتها إلى تعبير أكثر مقاربة لما يريده الله ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. وهي ـ بالضرورة ـ مهمة شمولية تنطوي على بعد حضاري، بل إن المشروع الإسلامي منذ لحظات حسيسه الأولى زمن رسول الله ﷺ مشروع حضاري يستهدف الخروج بالناس من الظلمات إلى النور، وابتعاثهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.. ويضع بين أيديهم، مباديء الاستخلاف والتسخير والاستعمار، وتحفيز آليات العمل العقلية والحسية والروحية، ومفاتيح الإبداع والقوة والفاعلية الحضارية في نهاية الأمر.

على ذلك فإن المشروع الحضاري يتوجه صوب فضاء واسع هو فضاء الأمة الإسلامية على امتدادها في الزمن والمكان.. في التاريخ والجغرافيا.. ويضع نصب عينيه أنه ليس مجرد سعي مرحلي أو حركة متموضعة في بيئة محددة أو

لحظة زمنية (وإن كان يبدأ منهما) ... وإنما هو نشاط موصول لتحقيق هدف قد يستغرق أجيالاً بكاملها.. لا سيما إذا تذكرنا أن إصلاح حالة خاطئة شديدة التعقيد، أكثر استعصاءً بما لا يقاس من التأسيس ابتداء.

إننا هنا إزاء ركام القرون الطوال .. وفي الوقت نفسه إزاء الفراغ المفاجئ أو الانكسارات الدرامية التي شهدتها عبر نصف القرن الأخير جلّ المذاهب والمحاولات الوضعية أو الدينية المحرفة، في الساحة الإسلامية وخارجها على السواء.

ولكن كيف يتأتى تحويل مطالب المشروع من مستوياته التنظيرية إلى واقع الحياة اليومية الإسلامية لكي ينسج خيوطها بمقاصد شريعة الله ومفرداتها؟

لما كان الخطاب يحمل رؤية حضارية فسيكون كل جهد مبذول في الساحة الإسلامية بمثابة رافد سيصبّ، مهما ضؤل، في المجرى الكبير الذي يمكن أن يتأكد حضوره واتساعه يومًا بعد يوم، بقدر ما يصب فيه من جهود وطاقات، ومحاولات.. بشرط أن تتخذ هذه كلها محورًا عند هدف واضح محدد هو أن تستعيد هذه الأمة هويتها الحضارية الضائعة..

الفعل قائم منذ زمن بعيد قد يمتد لأكثر من قرنين، لكن توظيفه في سياق خطاب حضاري يستهدف مشروعاً يخرج بالأمة من تخلفها ومعاناتها، ويكسر حلقة السوء المفرغة، هو المطلوب..

وهذا هو المطلوب: تجاوز بعثرة الطاقات والخبرات والمعطيات وارتطامها ونفي بعضها البعض الآخر، إلى برنامج عمل يستهدف لها إضافة بعضها إلى بعض، وتحقيق أقصى حالات الوفاق بين مفرداتها، وتوجيهها لكي تصب في البؤرة الواحدة أو المجرى الواحد الذي يمضي لتحقيق مطالب المشروع الحضاري. وبالتالي فإن الأولوية التي تفرضها المعادلة تقتضي جهداً متراكبًا ذا طبقتين، أولاهما: رسم خارطة عمل قديرة على احتواء كل نشاط إسلامي على مدى العالم الإسلامي كله، والتنسيق بين مفرداته وجعلها تمضي صوب

البؤرة الواحدة. وثانيهما: تحفيز إرادة العمل والعطاء والإبداع على كل المستويات لإنضاج المزيد من الثمار وإغناء المشروع على مستوى الكم والنوع على السواء.

بمعنى أن أي جهد روحي أو تربوي أو سياسي أو دعوي أو حركي .. أية إضافة علمية أو فكرية أو ثقافية.. أي بحث ينجز أو كتاب يؤلف.. أية مؤسسة تقوم، وأية تجربة أو خبرة تستمد مقوماتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. يمكن أن تقود جميعها إلى المطلوب شرط توافر قيادة فكرية ذات نمط عال من الكفاءة والمرونة والتحرّر من أوهام الماضي.. تأخذ على عاتقها مهمة تجميع الطاقات والتنسيق بينها للتحقق بأقصى حالات الوفاق في المعطيات الإسلامية على مدى جغرافية الإسلام.

قد يكون هذا مطلباً صعباً قبالة تحديات التمزق الفكري والسياسي، وضغوط العزلة والقطيعة، بل الخصومة والعداء التي تحكم علاقات الإسلاميين في العالم.

والجواب يكمن هنا بالذات في: إن المشروع البديل بوصفه خطاباً حضارياً يَهُمّ الأمة كلها، لن يكون أكثر من حركة في الفراغ ما لم تُحرث الأرض جيداً، وتنقّى من الدغل والأعشاب الضارة، وتهيّأ للزرع الجديد الذي يمكن بما أتيح له من شروط أن يستوي على سوقه لكي يعجب الزراع.

ولذلك فإن المشروع يقتضي جهداً مزدوجاً ـ ها هنا أيضاً ـ يقوم أولهما على الهدم والنفي، ويمضي ثانيهما في البناء والتأكيد.

ثانيًا: مطالب اللحظة التاريخية

إن مشروعًا حضاريًا يصاغ في القرن العشرين هو غيره في قرن مضى وإن المعادلة الصعبة تكمن هاهنا في: التحقق بالشخصية الإسلامية في مستواها الحضاري قبالة شبكة معقدة من المتغيرات والتأثيرات وعوامل الشدة والتحديات، وأيضًا قبالة سيل لا ينقطع من المعطيات المتجددة المزدحمة التي

تتطلب جوابًا "فقهياً" يحفظ لهذه الشخصية ملامحها المتفردة ويعينها على الإخلاص لثوابتها "الشرعية".

إننا عبر لحظتنا التاريخية الراهنة مدعوون ـ مثلاً ـ لتقديم جواب محدد إزاء جلب المفردات القادمة من حضارة الغرب المتفوقة التي اقتحمت علينا حياتنا وخبراتنا حتى أبعد نقطة فيها، بمعنى أن صياغة المشروع الإسلامي يتطلب جهداً مزدوجًا هاهنا أيضًا في: بناء المعطيات الإسلامية ابتداءً، وقبول أو رفض أو انتقاء مفردات الآخر في ضوء معايير شرعية مرنة وصارمة في الوقت نفسه.

إننا مرغمون على أن ندخل حواراً مع حضارة الآخر، والهروب من المواجهة سيقودنا إلى العزلة والضمور.. كما أن قبول مفردات الآخر سيفقدنا خصائصنا ولا بد من تجاوز الحدين المذكورين باتجاه صيغة عمل تسعى إلى أكبر قدر من توظيف المعطى الغربي المناسب لمشروعنا الحضاري.

إن أسلمة المعرفة ـ مثلاً ـ هي واحدة من هذه المحاولات: التعامل مع العلم الغربي، أو جوانب منه، بصيغة تضعه في نهاية الأمر في مكانه المناسب من خارطة المنظور الإسلامي للحقائق والنواميس والأشياء.

والاستجابة لمطالب اللحظة التاريخية ضرورية على مستوى آخر.. فإن جغرافية عالم الإسلام في أخريات القرن العشرين وبدايات القرن الذي سيليه ليست سواء، وظروفها التاريخية ليست سواء هي الأخرى.. والتاريخ، كما هو معروف، لا يقاس بالمسطرة و(البركال)، ولا بد إذن من البحث عن مشروع ذي مفاصل مرنة ومتغيرات شتى، تقوم على ثوابت مشتركة.. نعم وبكل تأكيد، ولكنها تقر بالتغاير الذي يسمح لكل بيئة إسلامية أن تختار أسلوب العمل المناسب الذي يخدم قضية النهوض الحضاري وينسج خيوط المشروع البديل.

فهنالك بيئات قد تصلح للنشاط العلمي أو الفكري، أو الثقافي عموما، ولكنها لا تتقبل النشاط التربوي أو الدعوي أو الحركي أو السياسي.. وبيئات

أخرى قد تكون مهيأة للجهد المؤسسي وتأتي على أي نشاط يخرج عن هذا النطاق .. وهكذا...

فإذا استطعنا أن نتقبل هذه الحقيقة التي قد تبدو للوهلة الأولى نقيضة لوحدة المشروع، وأن نحوّلها إلى أداة بناء وإغناء، بمفردات متغايرة، تتحرك باتجاه هدف واحد، ووفق ثوابت موحدة، كنا قد وظفنا ضرورات الاختلاف للتحقق بوحدة (موزاييكية) متناسقة تنطوي في الوقت نفسه على تنوعها الذي يصعب تجاوزه أو القفز عليه، وتعطيه الفرصة للتحقق في إطار الإسلام.. تماماً كما حدث عبر تاريخنا الإسلامي الذي شهد أهمية مرنة استطاعت الجماعات والأقوام والشعوب خلالها أن تعبر عن نفسها وأن تتحقق ذاتياً على المستوى الثقافي، ولكنها ظلت ـ في الوقت نفسه ـ إلاّ في حالات استثنائية، مخلصة في ممارساتها إلى حد كبير، لوحدة الهدف والمصير.

إننا لا نستطيع أن نقنع (الآخر) بمشروعنا ما لم نحول هذا المشروع من مستوياته التنظيرية إلى واقع نعيشه نحن، ونقتنع بجدواه وضرورته. بمعنى أن علينا لمديات زمنية قد تطول كثيرًا ألا نتحدث عن تقديم مشروعنا للغربي الحائر قبالة انهيار مذاهبه الشمولية، ونظمه وأنساقه الفكرية وفلسفاته وأديانه المحرفة.

إن محاولة كهذه أشبه بقفزة في الفضاء، ولا بد أولاً أن نتقدم بهذا المشروع لذوات أنفسنا قبل أن نتحدث عن مأزق الآخر وحاجته إلى البديل.

إن رسول الله ﷺ لم يتوجه بخطابه إلى حكام العالم قبل أن يقيم دولة الإسلام ويمكّن لعقيدتها وشريعتها في الأرض.. ومن ثم فإن رسائله إلى الأباطرة والملوك والأمراء ما كان يُمكِن أن تمضي إلى هدف، ففي العصر المكي حيث لم يكن المشروع الإسلامي قد حقق فرصته التاريخية، بصيغة دولة ذات شريعة تملك القدرة على دعوة الشعوب والحكام خارج جزيرة العرب.

إن عدداً من المتحدثين عن المشروع الحضاري يخلطون الأوراق ويتخيلون وهم يتحدثون عن المشروع أن مهمتهم تقديم مشروعهم هذا ناجزاً للآخرين..

وينسون أنهم هم أنفسهم لا يعرفون الكثير من مطالب المشروع، فضلاً عن كونه لم يدخل مرحلة التنفيذ الشامل بعد.. وأنه ـ بدلاً من ذلك يتمم استدعاء كل الطاقات الإسلامية، في شتى مستوياتها، لجعل معطياتها تصب، وفق تصميم مرن مرسوم بعناية، في الهدف المرتجى من أجل البدء بنسج المشروع الذي ينتظره المسلمون أنفسهم، والذي يمثل بالنسبة إليهم، الفرصة أو الخيار الوحيد لأن يجدوا ذاتهم على خارطة العالم.

باختصار.. فإننا لا نستطيع أن نقنع الآخر بمصداقيتنا الحضارية، بله أن ننفلت من فلك جاذبيته القاهرة، ما لم نضع لأنفسنا النسق الحضاري الذي يستمد مقوماته من الأسس الإسلامية ويستجيب لمطالب اللحظة التاريخية.

هذه هي مهمتنا الآن، وربما لحقبة زمنية قد تمتد عشرات السنين قبل أن نفكر بتقديم رؤيتنا للآخر الذي تعزله عنا آلاف الحواجز، وليس أقلها ثقلا غياب المشروع نفسه عن ساحات الجغرافيا والتاريخ.

إن تأكيد الذات كان دائمًا البداية الصحيحة للحوار مع الآخر.

رابعًا: تأشيرات على منهج العمل

الملاحظات أو المرئيات السابقة كلها قد لا تعني شيئاً على الإطلاق ما لم تتحدد أمام المسلم المعاصر خطط العمل، والفرص الواقعية لتحويل مفردات المشروع إلى خبرة متحققة في الزمن والمكان.. إلى حياة تنبض وتنمو وتواصل تجذرها في الأرض وامتدادها في الآفاق.

إنها عملية نسيج من نوع فريد تسهم في حوك خيوطه وحبكها أقطاب شتى: الفرد، الجماعة، الشعب، المؤسسة، الدولة، النشاط المعرفي، الفكر والثقافة.. فإذا استطاع النّاجون توظيف هذه الأقطاب جميعاً، أو الجوانب القابلة للأسلمة منها، وهي بالتأكيد كبيرة المساحة غزيرة العطاء.. إذا استطاعوا لمّ الجهود المبعثرة، وتوجيه الأشعة المنبثقة من هنا وهناك، صوب البؤرة

الواحدة، لخدمة المشروع الواحد، فإنهم يكونون قد وضعوا خطواتهم على الطريق الصحيح.

كل صيغ العمل الشعائري أوالتعبّدي أو التربوي أو الدعوي أو الحركي أو السياسي أو الجهادي أو الفكري أو الثقافي أو المعرفي أو الاجتماعي - إذا أحسن التعامل معها، وتم قبولها لكونها مفردات صالحة لتغذية المشروع، يمكن أن تعين على الهدف وأن تسهم في النسيج الشامل.

إن التغاير هاهنا أيضاً يتحتم ألا يكون سلاحاً نشهره ضد أنفسنا، بل فرصة جيدة للتوظيف وفق انساق تكاملية تجعل التعبدي والتربوي والاجتماعي والدعوي والسياسي والجهادي والفكري والمعرفي.. إلخ. تلتقي على صعيد واحد مع تغاير زاوية الرؤية والفعل والانطلاق.

والآن فإن في مقدور المرء - في ضوء الملاحظات السابقة ــ أن يضع يديه على منظومة من الممارسات "العملية" التي يمكن أن تعين على نسج الخيوط الأولى في مشروع النهوض أو البديل الحضاري.. ولنتذكر دائماً أنه ليس بديلاً لحضارة الآخر، بغض النظر عن مساوئها وتناقضاتها، وإنما لتخلفنا نحن وحاجتنا الملحّة إلى المشروع الذي يضعنا في المكان المناسب من خارطة العالم.

إن الجهد المطلوب - وبإيجاز شديد ــ يكمن في المعادلة التالية: "اختراق الحياة شبه الإسلامية بمفردات إسلامية". وهذا ما حدث - بالفعل ــ منذ عقود عديدة، بل ربما منذ اللحظات المبكرة للصدمة الاستعمارية في منتصف القرن الماضي. لكن الجهد - في معظم الأحيان - كان مرتجلاً مجزوءًا لا يملك منهجًا عامًا محدّدًا، ولا بوصلة توجيه تعرف كيف تحدد الهدف وفق مطالب اللحظة التاريخية، ولا يملك كذلك رؤية شمولية تلمّ المفردات في أنساق محكمة لكي تكون أكثر قدرة على الفاعلية.

والبداية الصحيحة للاختراق هي بالضرورة بداية فكرية تنطوي على جهد مركب: يمضي أحدهما باتجاه الإصلاح والتقويم وإعادة تعديل الوقفة التاريخية

الجانحة، ويسعى الآخر إلى إبداع أو تصميم صيغ جديدة تستجيب للمتغيرات وتتعامل معها بأقصى درجات المرونة والوعي.. وسيكون ما يصطلح عليه بعبارة "إعادة فتح باب الاجتهاد" حلقة أساسية في هذا الجهد، بل هي جوهره وحجر الزاوية فيه إذا أردنا الدقة. وما لم يتحقق هذا وفق شروطه المحددة، فإن أية محاولة لإصلاح منهج الفكر لن تأتي بنتيجة.. إن قدر قياداتنا الإسلامية وهي تنسج الخيوط الأولى لمشروعها الحضاري، هي أن تكون خيارات مجتهدة قديرة على تحكيم "الفقه " في مواجهة المعطيات المتجددة والمتغيرات المزدحمة في الزمن والمكان.

والمشروع والحالة هذه، يتطلب فقهاء مفكرين أو مفكرين متفقهين.. إذ لا يكفي أن يكون هناك مفكرون لا يملكون آليات الاجتهاد، ولا مجتهدون لا يملكون خبرات العصر المعرفية.

الخندق العميق الذي حفرته قرون الانفصام النكد يجب أن يردم، والبداية الحقيقية للنهوض لن تكون ما لم يتم اللقاء ثانية بين القطبين..

وبموازاة الجهد الفكري تحتم ممارسة شبكة من الأنشطة العملية وتنفيذها على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات والنظم والحكومات، وكلما ازدادت مفردات هذه الأنشطة في النوع والكم، أتيح للنسيج أن يزداد مساحة وتجذرًا.

ها هنا أيضًا كان العديد من الحلقات الإسلامية قد بدأ يعمل منذ زمن بعيد لكنهم في معظم الأحيان ما كانوا يصلون إلى الهدف الذي وضعوه نصب أعينهم، الأمر الذي قاد بعضهم إلى الكفّ عن العمل، وساق الآخرين إلى حافات اليأس والإحباط، ومضت فئة ثالثة تضرب على غير هدى.

وما كان يعوزهم - بسهولة - سوى اثنتين، أولاهما: أن يعطوا لأنشطتهم العملية بطانات فكرية مرسومة بعناية في ضوء الثوابت الشرعية من جهة، ومطالب الخطة التاريخية وتحدياتها من جهة أخرى، أي أن يبدؤا من إصلاح

المنهج الفكري ثم يمضوا في تنفيذ مطالبه على أرض الواقع وهذا ما لم يتحقق بالشكل المطلوب.

أما ثانيتهما: فهي أن يعملوا، مع الحلقات الأخرى على امتداد جغرافية عالم الإسلام بمنطق التنسيق والتعاضد والتعاون والتكامل وهي أمور بديهية طالما أكد عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومع ذلك فقد أديرت لها الظهر.. ليس هذا فحسب بل ترك المجال لبدائلها السلبية كالارتجال والجهد الانفرادي والعزلة والنفي والاصطراع كي تحل محلها.. إن تاريخنا المعاصر هو ـ باختصار ـ تاريخ تفتيت للقوى وهدر للطاقات ما شهدته أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات.

ولحسن الحظ فإن مهندسي المشروع النهضوي أخذوا يدركون منذ أكثر من عقدين من الزمن المطالب المشار إليها جيداً، ويدركون معها عوامل التعويق التي وضعت الأمة أو الجماعة في الحلقة المفرغة، فإذا استطاعوا أن يجعلوا هذه الرؤية بتطبيقها الفكري والعملي واضحة تمامًا قبالة الوعي الإسلامي المعاصر، متحققة بأكبر قدر من الكفاءة في نسيج الحياة اليومية، فإنهم يكونون قد بدءوا البداية الصحيحة التي لابد وأن تصل بهم إلى الهدف المرتجى، خطوة خطوة، وحلقة حلقة، قد يستغرق قطعها أو تنفيذها زمنًا طويلاً، لكنها لن تكون ـ بأية حال ـ قفزة في الفضاء أو دعوة فضفاضة لا تقود إلى شيء. . "بطيء .. لكنه مؤكد المفعول" كما يقول المثل الإنكليزي!.

والسؤال الآن: هو أن الساحة الإسلامية ليست ـ دائمًا ـ في حالة تقبل لهذا الجهد الثنائي في أحد جانبيه أو كليهما معا: الفكر والعمل، بل قد تكون معبأة ابتداءً لوضع العوائق أمام المحاولة وإحباطها.

وهذا صحيح.. وصحيح كذلك أن الحياة الإسلامية على امتدادها في الجغرافيا وعلى استعدادها الطبيعي لقبول الخبرات الأصيلة وطرد المزيّف والدخيل، تنطوي دائماً على مفاصل أو مساحات تسمح، بشكل أو آخر، في تنفيذ هذه الحلقة أو تلك من حلقات المشروع. ويبقى على القيادات الفكرية

أن تكتشف حجم الفرصة المتاحة هنا أو هناك، لتوسيع مساحة النسيج وإحكام حبكه، وهي مهمة ليست هينة، كما أنها ـ مرة أخرى ـ تتطلب أقصى قدر من التنسيق والشمولية وتجاوز الارتجال أو بعثرة الطاقات.

قد يكون من بين الفرص المتاحة: التعاون مع قيادات الطرف الآخر، أو وضعه أمام الأمر الواقع وإرغامه على القبول.. أو العمل بمعزل عنه في الهامش المتاح وهو بالتأكيد هامش واسع يسمح، كما هو ملاحظ عبر العقود الأخيرة، بتنفيذ العديد من المحاولات على المستويين الفكري والعملي. ورغم أن بعض هذه المحاولات تعرض للوأد بسبب عدم قدرة مهندسيها المضادة بإحباط المحاولة حيناً ثالثًا.. إلا أن حلقات عديدة أخرى مضت تشق طريقها وتزداد تجذرًا وعطاءً.. وهي بمجموعها ــ إذا أحسن توظيفها ــ تعين على نسج خيوط المشروع وتأكيده.

علينا دائمًا أن نفكر بإعداد البدائل المناسبة لكي تحل محل خبرات لم تعد صالحة لمطالب الزمن أو المكان.. وخبرات أخرى تعرّضت للحصار والمصادرة والوأد لهذا السبب أو ذاك.

بدائل تكون جاهزة تمامًا للنزول إلى الميدان وملء الفراغ الذي قد تترتّب عليه انكسارات واقعية ونفسية كانت السبب ــ في كثير من الأحيان ــ للتداعيات التي شهدتها الجماعات الإسلامية عبر القرن الأخير.

إن بمقدور المرء أن يتذكر ـ في ختام هذه التأشيرات ـ نقاط الارتكاز التي يمكن الوقوف عليها لتنفيذ بعض حلقات المشروع والتي أخذت عبر العقدين الأخيرين بوجه الخصوص تتلقى ـ فعلاً ـ روافد العطاء فتزداد ــ بفضل الله ــ تدفقًا، ولكن، مرة ثالثة ورابعة، تبقى الحاجة قائمة إلى اعتماد الصيغ التي تجعل هذه الروافد تتجمع إلى بعضها لكي تصب في الهدف الواحد.. الذي هو في نهاية الأمر هدف حضاري.

هناك ـ على سبيل المثال ـ الأداء الفكري (على مستوى الدورية، الكتاب، العمل المؤسسي، المدرسة، الجامعة، المعهد، الندوة، الملتقى، المؤتمر..).

الأداء العلمي (على مستوى البحث، الدراسة، الكشف والاختراع..).

الأداء الاجتماعي (على مستوى المنظمة الخيرية، المؤسسات الخدمية أو المالية أو الاقتصادية..).

الأداء الإعلامي (على مستوى الصحيفة، المسرح، السينما، الإذاعة، التلفاز، الشريط المصور (الفيديو)، الشريط المسموع (الكاسيت)..).

هناك ـ فضلاً عن هذا كله ـ إمكانية توظيف الفرص والإمكانيات التي وضعها هذا الدين بين يدي المنتمين إليه، فيما لم يضعه دين أو مذهب آخر في الأرض: (المسجد.. المنبر.. الحج .. الزكاة.. الصدقات.. الأوقاف..إلخ). وهي جميعًا ـ إذا أحسن التعامل معها لتحفيز عطائها ولو في حدوده المتاحة ـ وليست القصوى ـ فإن بمقدورها أن تفعل الأفاعيل، وأن تعين على نسج حلقات مشروع النهوض شرط أن تتهيأ لها قيادات ذات كفاءة تعرف كيف توظف الفرص جميعاً بأكبر قدر من التناغم والانسجام بين مقاصد الشريعة ومطالب اللحظة التاريخية.. قيادات يصير فيها الفقيه مفكراً والمفكر فقيها، وتتلقى الحياة الإسلامية الضائعة على أيديها ما يعينها على المضي إلى هدفها بأكبر قدر ممكن من ضمانات المسير.